

تفسير البغوي

وَقَدْ مَكُرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ

(وقد مكروا مكْرَهُم وعند الله مكْرَهُم) أي : جزاء مكْرَهُم (وإن كان مكْرَهُم) قرأ

علي وابن مسعود : (وإن كان مكْرَهُم) بالبدال ، وقرأ العامة بالنون . (لتزول منه الجبال)

قرأ العامة لتزول بكسر اللام الأولى ونصب الثانية . معناه : وما كان مكْرَهُم . قال الحسن : إن

كان مكْرَهُم لأضعف من أن تزول منه الجبال . وقيل : معناه إن مكْرَهُم لا يزيل أمر محمد

صلى الله عليه وسلم الذي هو ثابت كثبوت الجبال . وقرأ ابن جريج ، والكسائي : " لتزول "

بفتح اللام الأولى ورفع الثانية ، معناه : إن مكْرَهُم وإن عظم حتى بلغ محلا يزيل الجبال

لم يقدرُوا على إزالة أمر محمد صلى الله عليه وسلم . وقال قتادة : معناه وإن كان شركهم

لتزول منه الجبال ، وهو قوله تعالى : (وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا) (مريم -

19) . ويحكى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في معنى الآية : أنها نزلت في نمرود

الجبار الذي حاج إبراهيم في ربه ، وذلك أنه قال : إن كان ما يقول إبراهيم حقا فلا أنتهي

حتى أصعد السماء فأعلم ما فيها ، فعمد إلى أربعة أفرخ من النسر فرباها حتى شبت

واتخذ تابوتا ، وجعل له بابا من أعلى وبابا من أسفل ، وقعد نمرود مع رجل في التابوت ،
ونصب خشبات في أطراف التابوت ، وجعل على رءوسها اللحم ، وربط التابوت بأرجل
النسور ، فطرن وصعدن طمعا في اللحم ، حتى مضى يوم وأبعدن في الهواء ، فقال نمرود
لصاحبه : افتح الباب الأعلى ، وانظر إلى السماء هل قربناها ، ففتح [الباب ونظر] فقال :
إن السماء كهيئتها ثم قال : افتح الباب الأسفل وانظر إلى الأرض كيف تراها ؟ ففعل ،
فقال : أرى الأرض مثل اللجة والجبال مثل الدخان ، فطارت النسور يوما آخر ، وارتفعت
حتى حالت الريح بينها وبين الطيران ، فقال لصاحبه : افتح البابين ففتح الأعلى فإذا السماء
كهيئتها ، وفتح الأسفل فإذا الأرض سوداء مظلمة ، فنودي : أيها الطاغية أين تريد ؟ قال
عكرمة : كان معه في التابوت غلام قد حمل معه القوس والنشاب ، فرمى بسهم فعاد
إليه السهم متلطنا بدم سمكة قذفت نفسها من بحر في الهواء - وقيل : طائر أصابه السهم -
فقال : كفيت شغل إله السماء . قال : ثم أمر نمرود صاحبه أن يصبوب الخشبات وينكص
اللحم ، ففعل ، فهبطت النسور بالتابوت ، فسمعت الجبال حفيف التابوت والنسور ،
ففزعرت وظنت أنه قد حدث حدث من السماء ، وأن الساعة قد قامت ، فكادت تزول

عن أماكنها ، فذلك قوله تعالى : (وإن كان مكروهم لتزول منه الجبال) .